﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٨٤﴾

[الأعراف: 84]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لـمّا أفهمَ قولُه تعالى في الآية السّابقة إهلاكَهم، بيَّنَه في هذه الآية دالًّا على نوعه بقوله: ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾[1]، حيث "أمطرنا عليهم حجارةً مخرّبةً، ومادتِ الأرضُ بالزّلازل من تحتهم، فانظر - يا أيّها النّبيّ - إلى عاقبة المجرمين، وكيف كانَت"[2].

إمـطـارُ مـطـرِ الـعـذابِ هـلاكٌ يـكـشـفُ عـاقـبـةَ مـجـرمـي قـوم لوطٍ المُهلَكين

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿عَٰقِبَةُ﴾: العَقِبُ: مؤخّر الرّجل، وكلُّ شيء يعقب شيئًا فهو عقيبه، والعاقبةُ أصلُها كلُّ ما يأتي في عَقبِ الشّيء؛ أي: آخره؛ أي: هي ما يؤول إليه أمرُه، ثمّ هي تكون حسب حالِ الشّيءِ من خيرٍ أو شرٍّ، والعاقِبةُ تختصُّ بالثّواب إذا أُطلِقَت كقولِه تعالى: ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٨٣﴾ [القَصص: 83]، وبالإضافة قد تُستعمَلُ في العقوبة، كقولِه تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ﴾ [الرّوم: 10]، والعُقُوبَةُ والمعاقبةُ والعِقابُ يختصُّ بالعذاب، وعاقبةُ المجرمين بمعنى آخرِ أمرِهم منَ الهلاكِ[3].

2) ﴿ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾: يدورُ الجَرْمُ على معنى القطعِ والصَّرم، ومنه جَرَمْتُ الثّمرةَ عنِ الشَّجر قطعتُها، وجَرَمَ بمعنى كسب؛ لأنّ الّذي يجوزه كأنّه اقتطعه. وأجرَمَ: صار ذا جُرم، والجرم والجريمة: الذَّنب، بمعنى: اقتطعَ الذّنبَ، واكتسبَه على معنى الرّغبةِ في تحصيلِه

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/457 - 458.
(2) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 218.
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (عقب).

كما يشعرُ به معنى الاقتطاع، واستُعير الجرمُ لكلّ اكتسابٍ مكروهٍ، فالمُجرِم: مَن حمل جُرمًا كالآثم والوازر. وكلُّ مُجرِمٍ في القُرآن فالمُرادُ بِهِ الكافِرُ الّذي اقتطعَ إثمًا، واكتسبَه زيادةً على كفرِه[1].

❁ المعنى الإجْماليُّ:

التّذكير بهلاك قوم لوطٍ، وما تؤول إليه عاقبةُ المجرمين عمومًا

وأمطرنا على قومِ لوطٍ الّذين كذَّبوا لوطًا، ولم يؤمنوا به، مطرًا من حجارةٍ من سجّيلٍ أهلكناهم به، فانظرْ نظرَ اعتبارٍ إلى عاقبةِ هؤلاء الّذينَ كذَّبوا اللّه ورسولَه، واجترؤوا على معاصيه، فما كانت عاقبتُهم إلّا البَوارَ والهلاكَ[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ الاستعارة في لفظ الإمطار في قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾:

تتابعُ الاستعاراتِ لتقويةِ المعنى والمبالغة فيه

لمّا كانَ المَطرُ هو الماء المنسكب مِنَ السَّحابِ، وكان إمطارُ الحجارةِ مِنَ السَّماءِ مِنَ المجازِ[3]، دلَّ على أنّ الجملةَ فيها استعارتان: إحداهما في الفعل ﴿وَأَمْطَرْنَا﴾ الّذي يُستعمَلُ في موضعِ العذاب؛ أي: أرسلنا مِنَ السّماء ما هو كالمطر؛ ليكون استعارةً تصريحيَّةً تبعيَّةً، والثّانية في لفظ ﴿مَّطَرًا﴾[4]؛ لتشبيه الحجارةِ النّازلةِ مِنَ السَّماء بالماءِ النّازل منها بجامعِ انكبابِه مِنَ الأعلى، واستيعابِه لَمَن ينزلُ عليهم، وتمكّنِه منهم، وانتفاءِ توقُّع موضعِ نزولِه، وكونِه مِنَ اللّه تعالى، ليس للبشرِ فيه أيُّ أثرٍ؛ ليكونَ الكلامُ على طريقِ الاستعارةِ أشدَّ رعبًا وترهيبًا، لما فيه مِنَ التّصوير، فقد استعار النّظمُ الكريمُ (أمطرنا) لـ(أرسلنا)، واستعار (مطرًا) لـ (حجارة)، وقد تعاونتِ الاستعارتان في الكشف عنِ الكثرة والتّتابع، مع القهر والاستعلاء.

---

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (جرم)، والكفويّ، الكلّيّات: (الميم).

(2) ابن جرير، جامع البيان: 12/551 - 553، ونخبة من أساتذة التّفسير، ص: 161.

(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والزّمخشريّ، أساس البلاغة، وابن منظور، لسان العرب: (مطر).

(4) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 8/438.

دلالةُ حرف الاستعلاء في جملة: ﴿عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ﴾:

العلوُّ والقهرُ والاستعلاءُ معانٍ تُوحي بالإمعان في التّعذيب

التّعبيرُ بحرف الجرّ (على) يدلُّ على القهر والاستعلاء، إمعانًا في تعذيبهم، وتشديدًا في إهلاكهم، وجاء في آيات أخرى تفسيرًا لهذا المطر: ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ٨٣﴾ [هود: 82 - 83]، وفي الآيتين استُعمِلَ الحرف (على)؛ وذلك لبشاعة الفعل، ويكفي أنّ رسولَ اللّه ﷺ قال في عقوبته: «مَن وجدتموه يعملُ عملَ قومِ لوطٍ فاقتلوا الفاعلَ والمفعولَ به»[1].

دلالةُ التّنكيرِ في لفظِ: ﴿مَّطَرٗاۖ﴾:

نزولُ الحجارةِ منَ السّماء عذابٌ لم يعرِفْه البشرُ من قبلُ

جاء لفظ ﴿مَّطَرٗاۖ﴾ منكَّرًا؛ لتعظيم نوعِ المطرِ النّازلِ عليهم، ولِلتَّعجيب منه، فهو نوعٌ غريبٌ لا يتعارفُه أحدٌ، وهو الحجارة، والمعنى: أمطرنا عليهم مطرًا عجيبًا من شأنِه أن يُهلِكَ القُرى[2].

الخطابُ على خلافِ مقتضى الظّاهر في قوله: ﴿فَٱنظُرۡ﴾:

ظهورُ عاقبةِ المجرمين لكلِّ مَن له نظرٌ للتّحذيرِ من أفعالِهم

جاءتِ الفاءُ هنا دالّةً على طيّ الزّمنِ بين مجيءِ العقوبة وأثرها، إلماعًا إلى شدّةِ العقوبةِ الّتي جسّدتها الاستعارةُ في الجملة الماضية، وأصلُ الخطابِ بـ ﴿فَٱنظُرۡ﴾ أن يكونَ لمعيَّن، فالخطابُ ظاهرُه للنّبيّ ﷺ، ولكنَّه قُصِدَ به كلُّ سامعٍ قصَّتَهم؛ للنّظر كيفَ كانَ مآلُ مَن أجرَمَ، والنّكتةُ من مجيءِ الخطابِ على خلافِ مقتضى الظّاهرِ تفظيعُ حالِ عاقبةِ المجرمين، وأنّه قد بلغَ من ظهورِ عاقبتِهم إلى حيثُ يمتنعُ خفاؤُها الْبَتَّةَ، فلا تختصُّ رؤيةُ راءٍ دونَ راءٍ، بل كلُّ مَن يتأتَّى منه النَّظرُ والتَّأمُّلُ، فلهُ مدخلٌ في هذا الخطابِ، تعجيبًا من حالِهم، وتحذيرًا من أفعالِهم، وازدجارًا أن تَسلُكَ هذهِ الأُمَّةُ هذا

(1) رواه أبو داود، السنن، برقم: (4462)، والتّرمذيّ، السنن، برقم: (1456)، وابن ماجه، السنن، برقم: (2561)، والحاكم في المستدرك، برقم: (8047)، وصحّحه، ووافقه الذهبي.
(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 8/438، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/237.

المسلَكَ[1]، وقد خرجَ الأمرُ عن معناه الحقيقيّ إلى معنى مجازيّ، وهو التّعجيب من حالهم.

نوعُ الاستفهامِ في قوله: ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾:

اختيارُ لفظ (كيف) يُفيدُ عموم الأحوالِ ويُشيرُ إلى تهويل العذابِ والتّعجيبِ منه

لمّا علَّقَ الأمرَ بالنّظر على اسم الاستفهام ﴿كَيۡفَ﴾، دلَّ على أنَّ المرادَ الأمرُ بالاعتبار بمجموعِ الحالةِ الّتي صاروا عليها، فاقتضى الأمرُ بالنّظر إلى حالةِ العاقبة النّظرَ إلى مجموعِ صورةِ الحالِ الّتي حصلَت لقومِ لوطٍ من أوّل القصَّة، والّتي كانت سببًا في هذه العاقبة؛ لانتظام الأحوالِ كلِّها بالاستفهام بـ(كيفَ)؛ لِما يدلُّ عليه (كيف) منَ السّؤالِ عن عمومِ الأحوالِ؛ فاقتضى المقامُ تركَ التّفصيلِ إلى الإجمال مع الاحتراز عنِ التّطويلِ في ذكرِ أحوالِهم؛ لأنّه غيرُ وافٍ بحصرِها كما أنّه يورثُ الملَلَ، ولمّا كان جوابُ كيف بالصِّفات[2]، دلَّ على أنَّ المرادَ فانظر إلى جميعِ أوصافِهم الّتي صاروا عليها بعدَ إنزالِ الحجرِ عليهم؛ تعظيمًا لشدّةِ العذابِ وتهويلًا له، وتعجيبًا من حالِ المجرمين؛ ليكونَ تذكيرًا للمُخاطَبين بالقرآن، فاجتمع في ﴿كَيۡفَ﴾ معنى العمومِ وتعظيمِ شدّة العذاب وتهويلِه، والتّعجيب من حالِهم.

توجيهُ المتشابه بين الأعراف والنّمل:

السَّبقُ بالفاحشةِ جريمةٌ وإثمٌ كبيرٌ، وعقابُه عظيمٌ خطيرٌ

جاء في سورة الأعراف تعقيبُ قوله تعالى: ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ﴾، بقوله: ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾، وجاء في سورة النَّمل تعقيبُ قولِه: ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ﴾، بقوله: ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ﴾، ووجهُ المناسبةِ في كلِّ موضعٍ، هو أنَّه لمّا تقدَّم في الأعراف قولُه: ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، "أفادَ أنَّهم جمعوا إلى قبيح الفحش الاجترامَ من حيث لم يفعل تلك الفعلةَ

(1) السّكاكيّ، مفتاح العلوم، ص: 180، وأبو حيّان، البحر المحيط: 5/103، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/246.

(2) السّكاكيّ، مفتاح العلوم، ص: 313، والبهاء السّبكيّ، عروس الأفراح: 1/449.

الشّنعاءَ مَن تقدّمهم، فأفاد السّبقُ بالفاحشة الوصفَ بالاجترام، فناسبَ تعقيبه بقوله: ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾، ولمّا تقدّم في النّمل قوله: ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ﴾، حصل منه تعنيفٌ وإنذارٌ وشناعةُ معاينةِ بعضِهم بعضًا في ارتكابها، فناسب إنذارهم بهذا، ما أعقب به من قوله: ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ﴾، ولو أعقبَت آيةُ الأعراف بهذا أو آيةُ النّمل بما أعقبَت به آيةُ الأعراف لم يكن متناسبًا، فجاء كلٌّ على ما يجب[1].

(1) الغرناطيّ، ملاك التّأويل: 1/552.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث عشر، سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 13 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-09-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 13 : سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-09-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6551762 بتاريخ 2023/12/20م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»